اضواء على بيعتي العقبة الاولى والثانية ودور الانصار العسكري حتى غزوة بدر

رياض هاشم هادي
جامعة الموصل / مركز الدراسات التركية
(مدرس)

تمهيد : —

يبدو من الاتصالات الاولى التي قام بها الرسول (ص) مع سكان يثرب ، انها كانت بيئة عرفت مستوى من النضج في الوعي الديني والسياسي وان اسلام اهل يثرب دون غيرهم من العرب في تلك الفترة جاء بدوافع دينية وسياسية معاً، فنضجهم الديني وخوفهم من استعادة اليهود السيطرة على مدينة يثرب هو الذي مهد لانتشار اسلامهم بهذه السرعة .

بيعة العقبة الاولى : — (*)

تحدثنا الروايات التاريخية بأن الرسول (ص) قد التقى ببعض الرجال من الاوس وقد اسفرت هذه اللقاءات عن اسلام اثنين او اكثر من الأوس (١) كان من ثمار هذه اللقاءات انه لم يبق دار من دور الاوس والخزرج ، الا وفيها ذكر رسول الله (ص) (٢) ، واصبح ذكر النبي معروفاً لدى سكان المدينة فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله (ص) بالعقبة(٣) في السنة الثانية ق — هـ وتمت فيها البيعة الاولى ، او بيعة النساء (٤) عدها بعض المؤرخين الثانية (٥)، على اعتبار

(*) العقبة : وهي العقبة التي بويع فيها النبي (ص) بمكة ، فهي عقبة بين منى ومكة نحو ميلين وعندها المسجد وفيها ترمي جمرة العقبة (انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان د/ط دار صادر ، بيروت ١٩٥٧ م ج ٤ ، ص ١٣٤ .

(١) ابن هشام : ابو محمد عبد الله الحموي : سيرة النبي : تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د/ ط . دار الفكر ، بيروت ؛ د / ت ج٢ ، ص ٣٦ — ٣٧ .

(٢) ابن هشام : ج٢ ، ص ٣٩ ، ابن سعد : محمد : الطبقات الكبرى ، د/ ، ط دار صادر بيروت ٨٠ — ١٣٨٨ هـ — ٦٠ — ١٩٦٨ م ، ج١ ص ٢١٩ .

(٣) ابن هشام : نفس المكان ، ابن سعد : نفس المكان .

(٤) تسمى احيانا ببيعة النساء أي وفق بيعة النساء التي نزلت بعد فتح مكة (انظر نص البيعة الديار البكري : حسين بن محمد : تأريخ الخميس في احوال نفس نفيس د/ط مؤسسة شعبان ، بيروت : عن الطبعة الوهبيه ، ١٢٨٣ هـ ، ج ١ ص ٣١٦٠ ، ٣١٧ .

(٥) الديار بكري : ج١ ، ص ٣١٦ — ٣١٧ .

ان اللقاء مع النفر الستة من الخزرج الذين وافوا الرسول (ص) في السابق كانوا اهل العقبة الاولى (٦) .

وفي العقبة الاولى تمت مبايعة الرسول (ص) من قبل وفد من الاوس والخزرج الذين تعهدوا فيها للرسول(ص) على ان لانشرك بالله شيئاًولانسرق ولانزني ،ولا نقتل اولادنا ولانأتي ببهتان نفتريه من بين ايدينا وارجلنا ،ولا نعصيه في معروف ، فان وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئـــاً فأمركم الى الله عزوجل : ان شاء عذب وان شاء غفر : (٧) .

والملاحظ على بنود هذه البيعة انه ليس فيها شروط ملزمة لاهـل يثـرب ولافرض الحرب . كما ليس فيها تعهد بحماية الرسول (ص) واتبـاعـه ولافيها دعوة للهجرة الى مدينة يثرب ،انما هي في الواقع اعلان اسلامهم فحسب . ثم رجعوا بعد ذلك الى المدينة ، وكان على رأس الدعاة أسعد بـن زرارة (٨) ، وازداد عدد المسلمين في يثرب بعد ذلك على الأربعين ، فأخذ سعد بن زرارة يجمع بهم كل صلاة (٩) .وكتب مسلمو الأوس والخزرج الى الرسول (ص) كتاباً يطلبون فيه ارسال من يعلمهم القرآن ويفقههم فـي الدين (١٠) فبعث اليهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين واصبح بعد ذلك يجمع بالمسلمين (١١) . فأرسال الرسول (ص) لمصعب

---

(٦) انظر الذهبي : شمس الدين محمد : تأريخ الاعلام وطبقات مشاهير الاعلام د / ط مكتبة القدس، القاهرة / ، ١٣٦٧ هـ ، ج ١ ص ١٧١ . وانظر السمهودي : نور الدين علي بن عبد الله : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ط١ ، مطبعة الاداب والموئيد مصر ، ١٣٢٦ هـ ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٧) ابن هشام : ج٢ ، ص ٤١ – ٤٢ .

(٨) الذهبي : ج١ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(٩) الذهبي : نفس المكان .

(١٠) البلاذري : احمد بن يحيى : انساب الاشراف : تحقيق : محمد حميد الله د /ط ،دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ م ، ج١ ، ص ٢٣٩ .

(١١) ابن هشام : ج٢ ، ص ٤٢ .

إبن عمير (رض) الى يثرب ليكون له ممثلا ، وليتعرف عن كثب على طبيعة العلاقات السائدة في يثرب بين سكانها جميعاً ، وقد اثبت مصعب بن عمير بأنه جدير بأختيار الرسول (ص) له للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، فعلى نجاحها او فشلها يتوقف مصير الاسلام في يثرب التي تموج بالخلافات وتضطرم فيها العصبية القبلية والمصالح الذاتية والظاهر ان امكانات مصعب التنظيمية كانت كبيرة وانه ركز في الدعوة الى اجتذاب الرجال الذين كان يعتقد بأهميتهم لاعتبارات تخص مكانتهم في قومهم واليه يرجع الفضل بأسلام سعد بن معاذ (١٢) وهو من زعماء الاوس البارزين والذي اسلم بأسلامه جميع بني عبد الاشهل من الرجال والنساء والشيوخ في يوم واحد . وكان من اصحاب الرأي والمشورة ومن فضلاء الصحابة (١٣) واسلام اسيد بن خضير ترتب على اسلام هذين الزعيمين ان اصبحت الدعوة الى الأسلام في يثرب علناً بعد ان كانت سراً (١٤) وكان لهذه الجهود الكبيرة التي بذلها مصعب إبن عمير بالدعوة الى الإسلام في يثرب ان بلغت الدعوة مستوى كبيراً من النضج والسيطرة على الاوضاع فيها . وانتشر الاسلام بسرعة كبيرة جداً في فترة وجيزة ، ولم تبق دار من دور الانصار الا بها رجال ونساء ، مسلمون (١٥) . بأستثناء بعض بطون من الاوس ، حيث بقيت على شركها حتى غزوة الخندق (١٦) .

ان هذا الاندفاع السريع في الاسلام اغلب سكان مدينة يثرب من الأوس والخزرج الذي وصل في اقل من عام الى خمسمائة فرد دفع بعض الباحثين المعاصرين الى ان يتساءل عن سبب الاقبال الشديد على الاسلام فقال : ان

---

(١٢) ابن هشام : ج١ ، ص ٤٣ – ٤٤ ، ابن سعد : ج٣ ، ص ٤٢٠ – ٤٢٣ .
(١٣) ابن الاثير : عز الدين: اسد الغابة في معرفة الصحابه ، د/ ط ، طهران ، د/ت ، ج٢ ص ٢٩٦ .
(١٤) الذهبي : ج١ ، ص ١٧٤ .
(١٥) الذهبي : ج١ ص ١٧٦ – ١٧٧ .
(١٦) ابن هشام : ج٢ ، ص ٤٦ ، الذهبي : ج١ ص ١٧٦ – ١٧٧ .

ذلك ليثير الاستغراب(١٧) والذي يبدو لي انه ليس هناك مجال للاستغراب طالما كانت هناك عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية تميزت بها مدينة يثرب عن غيرها من الحواضر العربية انذاك ، مما دفع سكانها من الاوس والخزرج الى قبول الاسلام دون غيرهم من قبائل العرب .

بيعة العقبة الثانية

لم يمض عام على عودة المبايعين في العقبة الاولى الا وكان المسلمون يشكلون عدداً لا يستهان به مما دعاهم الى ارسال وفد جديد مؤلف من ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين الى مكة اثناء موسم الحج لمفاوضة الرسول (ص) بشأن الهجرة الى يثرب ، وتم اللقاء مع الرسول (ص) عند العقبة ويحدثنا ابن جابر عن ذلك اللقاء فيقول « فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله (ص) نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب ، ام عمارة احدى نساء بني مازن إبن النجار واسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي ، احدى نساء بني سلمة وهي ام منيع (١٨) » فتكلم الرسول (ص) فتلا القرآن. ودعا الى الله ورغب في الاسلام (١٩) ثم قال: ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نسائكم

---

(١٧) الحديثي : نزار عبد اللطيف : محاضرات في التأريخ العربي ، د / ط ، مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٩ ، ص ٨٧ .

(١٨) ابن هشام : ج٢ ، ص ٤٩ .
ذكر الديار بكري : « انه في السنة الثالثة عشرة من النبوة قدم مكة موسم الحج قريب من خمسمائة نفر ، وفي رواية ثلاثمائة نفر من الأوس والخزرج ، وخرج معهم مصعب إبن عمير الى مكة واتفق معه سبعون رجلا . قال ابن سعد يزيدون رجلا أو رجلين وإمرأتان : نسيبه بنت كعب واسماء بنت عمرو ، وقال ابن هشام : ثلاثة وسبعون رجلا وأمرأتان وقال الحاكم خمس وسبعون نفس لاقوا رسول الله (ص) فواعدهم ان يحضروا شعب العقبة في الليلة الثالثة من ليالي التشريق للمبايعة (انظر الديار بكري : ج١ ، ص٣١٧).

(١٩) ابن هشام : ج٢ ، ص ٥٠ .

وابناءكم فاخذ البراء بن معرور بيده(ص) ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يارسول الله، فنحن والله اهل الحروب واهل الحلقه ورثناها كابراً عن كابر (٢٠). وبايع الوفد الرسول (ص)، وتمت البيعة في جو من السرية التامة بين الرسول (ص) وبين من آمن به من الاوس والخزرج (٢١) خوفاً من قريش واصحابهم (٢٢).

وبعد ذلك طلب الرسول (ص) من المبايعين اخراج اثني عشر نقيباً من بينهم ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ثلاثة من الاوس وتسعة من الخزرج(٢٣) وكان الهدف من اختيارهم — على مايبدو — هو رعاية احوال المسلمين الجدد في مدينة يثرب والأشراف على تنظيمات الدعوة فيها ريثما يهاجر الرسول (ص) فهم بمثابة قياديين للتنظيم الأسلامي في مدينة يثرب. وان كانت مصادرنا التأريخية لاتقدم لنا اية معلومات عن هؤلاء النقباء سوى اسمائهم وانسابهم (٢٤). اماعن دورهم في مدينة يثرب قبل هجرة الرسول (ص) اليها والمهام التي كلفوا بها فلا تقدم لنا شيئاً البتة وعلى الرغم من سكوت المصادر عن اعمالهم وواجباتهم الا ان الرسول (ص) لابد انه كلفهم بأعمال تنظيمية تخص الدعوة وانتشارها في المدينة وإلا ماهي الفائدة المرجوة من اختيارهم ؟ .

---

(٢٠) ابن هشام : نفس المكان .

أزرنا : يعني نساؤنا ، والمرأة يكنى عنها بالا زرار (للمزيد انظر : ابن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب ، د/ط ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٥ — ١٩٥٦ م ، ج٤ ، ص١٦-١٨ .

(٢١)

(٢٢) ابن هشام : ج٢ ، ص ٥٦ — ٥٧ .

(٢٣) إبن هشام : ج ٢ ، ص ٥١ .

(٢٤) ابن هشام — نفس المكان .

ان نجاح الرسول (ص) في اتمام مبايعة الوفد في العقبة الثانية ليعطي دليلا قوياً على نجاح الدعوة الاسلامية وبلوغها درجة مطمئنة من التقدم فهذا العدد من القيادتين : ستون رجلا من الخزرج واحد عشر من الأوس وامرأتان دليل ملموس على نجاح الاسلام في مدينة يثرب وكان من اهتم شروطها على الاطلاق اعلان الحرب على من يحارب الاسلام ورسوله واعلنوا انهم يحاربون في سبيل ذلك الاحمر والاسود مادام داخل حدود المدينة والا يسلموه ابدا (٢٥) كما انها اتاحت الفرصة للمسلمين في مكة بالهجرة الى المدينة والدعوة الى الاسلام بحرية وامان بعيداً عن اضطهاد المشركين لهم .

نستنتج من بيعتي العقبة الاولى والثانية ان عدد مسلمي الخزرج اكبر من مسلمي الاوس مما يدل على ان الاسلام الخزرج كان شبه جماعي في الوقت الذي وجدنا ان الاوس اول من اعلنوا الاسلام في مدينة يثرب صراحة .

واسلم بنو عبد الاشهل بعد ذلك جميعاً بأسلام سعد بن معاذ واسيد بن خضير (٢٦) على الرغم من ذلك تأخر اسلام العديد من بطون الأوس والى مابعد غزوة الخندق (٢٧) ففي اللقاءات الاولى تبين لنا ان الرسول (ص) . التقى في مكة ببعض الرجال من الأوس ودعاهم الى الاسلام مثل: اياس بن معاذ وسويد بن الصامت . فكان قومهم يقولون عنهم انهم ماتوا وهم مسلمون (٢٨) والتقى الرسول (ص) بعد ذلك بنفر من سكان يثرب كانوا ستة من الخزرج ليس فيهم احد من الأوس (٢٩).وفي العقبة الاولى كانوا عشرة من الخزرج واثنين من الاوس (٣٠) وفي العقبة الثانية كان عدد

(٢٥) للمزيد راجع ابن هشام : ج٢ ، ص ٥٠ ، ص ٦٣ .
(٢٦) ابن هشام : ج٢ ، ص٤٤ .
(٢٧) ابن هشام: ج٢ ، ص٤٦ .
(٢٨) انظر تفاصيل ذلك ابن هشام : ج٢ ، ص ٣٦ – ٣٧ .
(٢٩) ابن هشام : ج٢ ، ص ٣٨ – ٣٩ .
(٣٠) ابن هشام : ج٢ ، ص ٤١ .

المبايعين من الخزرج واحداً وستين ومن الأوس اثني عشر فقط (٣١). وعندما اختير النقباء من بين المبايعين في العقبة الثانية ، كان من بينهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس (٣٢) مما يدل على ان اغلبية من اسلم في هذه المرحلة كانوا من الخزرج حتى طغى ذكرهم على ذكر الأوس، فهذا ابن هشام يقول « وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الأنصار «الخزرج» خزرجها واوسها (٣٣) .

يمكننا ان نفسر هذا التفاوت الكبير مابين مسلمي الاوس والخزرج بأسباب عديدة منها ان قبيلة الخزرج كانت تتطلع الى ان تكون لها السيادة في مدينة يثرب (٣٤) فكانت تعمل على اخضاع قبيلة الأوس لنفوذها . لان عدد افرادها (الخزرج) كان اكثر من قبيلة الأوس (٣٥) ، بالاضافة الى ذلك ان الاحوال الاقتصادية للأوس كانت احسن حالا من الخزرج كما ان فقدان الثقة مابين الأوس والخزرج وغياب الزعامة السياسية في مدينة يثرب جعلت عنصر المنافسة بينهم كبيراً ، فانتشار الاسلام بين الخزرج جاء كرد فعل طبيعي على رغبة الخزرج في بسط السيادة والزعامة على مدينة يثرب مستقبلا ، بعد ان اطمأن الرسول (ص) على نجاح الاسلام في مدينة يثرب بما حققه مصعب بن عمير من نتائج ايجابية ، وما تم في العقبة الثانية من التأكيد على حماية المسلمين والدفاع عنهم من اي اعتداء خارجي .

---

(٣١) ابن هشام : ج٢ ، ص ٤٩ .

(*) انظر الجدول من خلاله نلاحظ اسلام الخزرج كان اسرع من الاوس.

(٣٢) ابن هشام : ج٢ ، ص ٥١ .

(٣٣) ابن هشام : ج٢ ، ص ٤٩ – ٥٠ .

(٣٤) كرنكوف : (دائرة المعارف الاسلامية – تعريب : محمد الشنتاوي وزملائه ، ظهران ١٩٣١) مجلد ٨ ، ص ٣١٢ .

(٣٥): راجع ابن قدامة : موفق الدين عبد الله المقدس : الاستبصار في نسب الصحابة من الانصار : تحقيق : علي نويهض ، ط ١ ، دار الفكر . بيروت ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م ص ٢٩ ومابعدها .

دخلت الدعوة الأسلامية مرحلة جديدة من مراحل تطورها وتمت هجرة المسلمين والرسول بنجاح واستقر المهاجرون في مدينة يثرب واخذ الرسول (ص) يعمل على تنظيم العلاقات الداخلية بين السكان جميعاً ، كما اخذ ينظم علاقات المدينة الخارجية ولاسيما مع القبائل العربية المجاورة للمدينة وكان حريصاً على اقامة علاقات سلمية معها كي يتفرغ لنشر الأسلام بين الناس ، ولكن موقف قريش المعادي للرسول (ص) ودعوته كان يحول بينه وبين تحقيق هذا الهدف . فدفعت بعض القبائل العربية التي ترتبط معها بمصالح تجارية الى معاداة الرسول (ص) لذا كان لابد للرسول (ص) من ان يعمل على اقناع قريش وكافة القبائل العربية المحيطة بالمدينة بأن دولة المدينة قوية وانها قادرة على تهديد المصالح التجارية لقريش وغيرها من القبائل العربية بحيث تقنعها اخيراً بالدخول في علاقات سلمية وطبيعية مع دولة المدينة .

وقد اخذ الرسول (ص) يعمل على تنظيم غزوات وسرايا ذات اهداف تعرضية محدودة ، تستهدف تحقيق أمور معينة منها :—

ان القبائل البدوية التي كانت تعيش قرب مدينة يثرب مثل غطفان واشجع وسليم ومزينه (٣٦) او على الطريق مابين مكة والمدينة مثل قبيلة ضمره وجهينة وغفار (٣٧) وكانت لاتقيم وزنا في علاقاتها العامة الا للقوة لذا كان هدف الرسول (ص) هو أن يستعرض امامها قوته من اجل حملها على التحالف معه اوفك ارتباطاتها مع قريش او على الاقل اتخاذ موقف محايد في نزاعه مع قريش .

وبدأت سرايا المدينة تتجه فعلا الى الطرق الرئيسة التي تمر تجارات قريش منها الى الشام وعملت على مواجهة قوافل قريش بقصد افهامها

---

(٣٦) ابن هشام : ج٣ ، ص ٣١٤ ، المقريزي : ج١ ، ص ٢١٨ .
(٢٧) ابن هشام : ج٢ ، ص ٢٦١ .

حقيقة الموقف الجديد . ولم تحاول مصادرة هذه القوافل او التحرش بها الا في بعض الحالات الخاصة كما حصل في سرية عبدالله بن جحش الى نخله (٣٨) مثلا واخذت بعد ذلك دولة المدينة تتصل بالقبائل الضاربة على جنبات هذه الطرق وتعقد معها احلافاً . وحرمت بذلك قريش من الأستعانة بهذه القبائل او اللجوء بقوافلها الى حمايتها اذا ماهددت بالاعتداء عليها او مصادرتها ولم يزد هذه السرايا طوال الأشهر العشرة من بدء تسيير دوريات المدينة على المظاهرات العسكرية . وقد ردت قريش من جانبها بتعزيز الحراسة على قوافلها وتسيير دوريات بأعداد اكبر من قوة المسلمين وكانت هذه الدوريات تتقابل دون ان يحدث بينها قتال .

مما سبق عرضه لاحظنا ان دولة المدينة دأبت على إرسال دوريات متواصلة الهدف منها فرض نوع من الحصار الأقتصادي على تجارة قريش وقد بلغ عددها حوالي اربع سرايا وثلاث غزوات (٣٩) . والسؤال الذي يتبادر الى ذهن الباحث الان هو هل كانت هذه الدوريات مقصورة على المهاجرين ام شارك فيها الانصار ؟ .

للاجابة على هذا التساؤل علينا :-

١ - مناقشة تعهدات الأنصار العسكرية للرسول (ص) في بيعة العقبة الثانية من المعلوم لدينا ان اتفاقي العقبة الأولى والثانية الذي تم بين الرسول (ص) وبين من اسلم من (الأوس والخزرج) لم يتم تثبيته في نص مكتوب على شكل وثيقة تتحدد فيها التزامات كل طرف بشكل

---

(٣٨) انظر تفاصيل الاحداث السريه نخله ، ابن هشام : ج٢ ، ص ٢٣٨ - ٢٤٣ وراجع ايضاً العبيدي : عبد الجبار : سرية نخله احدى سرايا الرسول الهامة (مجلة المؤرخ العربي العدد ٩ ، بغداد ، ١٩٧٨ م ، ص ١٤٦ وما بعدها .

(٣٩) السريه : - هي التي يتولى أحد الصحابة قيادتها ويكون مسؤولا عنهم نيابة عن الرسول (ص) .

الغزوة :- هي التي يقوم بها الرسول (ص) بقيادتها .

واضح ولا يوجد بين ايدينا سوى الروايات التأريخية التي نقلتها المصادر عن الكلام والحوار الذي دار بين الرسول (ص)وبين من حضر هذا اللقاء من الأنصار .

لقد بدأ الأتفاق بين الرسول (ص) وبين الأنصار بأن قال لهم : (ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم (٤٠) . فأخذ البراء بن معرور بيد الرسول (ص) ثم اجابه قائلا :— « نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك ممانمنع منه ازرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله ابناء الحروب واهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر» (٤١) وتعهد الرسول (ص) لهم من جانبه بأن يصبح منهم ويحمل السلاح معهم في قتال من يقاتلون. وذكر ابن هشام تساؤل ابي الهيثم بن التيهان ان كان في نية الرسول (ص) ترك المدينة والرجوع الى مكة ان اظهره الله عليهم فاجابه الرسول (ص) متبسماً بل الدم — الدم الهدم — الهدم ، وانا منكم وانتم مني احارب من حاربتم واسالم من سالمتم (٤٢) وهو بذلك يرفض ان يعيش فيهم عيشة الرجل الضعيف الذي يحمونه كما يحمون نساءهم واولادهم . ان ماتقدم هو الحد الادنى مما تضمنته العقبة الثانية من تعهدات الانصار اما الحد الاقصى فهومحاربة جميع الناس دفاعاً عن الرسول (ص) والاسلام وقد بدا ذلك واضحاً جلياً حينما خاطب العباس بن عباده الانصاري قومه : قائلاً :

((هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم ، قال انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس ، فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلاً أسلمتوه ، فمن الآن ، فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة)) (٤٣) .

---

(٤٠) ابن هشام : ج٢ ، ص ٥٠

(٤١) ابن هشام : نفس المكان .

(٤٢) ابن هشام : ج٢ ، ص ٥٠ — ٥١ .

(٤٣) ابن هشام : ج٢ ص ٥٥ .

رغم هذا التحذير فقد مضى مسلمو الاوس والخزرج في مبايعة الرسول (ص) مما يدل على انهم كانوا على استعداد كامل لتحمل كافة التبعات التي تترتب على هذه البيعة ، وعلى هذا الاساس وصف عبادة بن الصامت — احد نقباء الخزرج — بيعة العقبة الثانية بانها بيعة الحرب فقال :

((بايعنا رسول الله (ص) بيعة الحرب)) (٤٤) .

٢ — معرفة حقيقة التزامات الانصار الحربية بموجب احكام الوثيقة ((دستور المدينة)) . لقد كتب الرسول (ص) في السنة الاولى للهجرة (٤٥) . بعد استقراره في المدينة كتاباً نظم فيه العلاقات مابين سكان المدينة من المهاجرين والانصار واليهود وبصورة شاملة . ونصت الفقرة الاولى من الوثيقة على ((هذا كتاب من محمد النبي (ص) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحدة من دون الناس)) (٤٦) . وبذلك عدّت الصحيفة المهاجرين والانصار ومن تبعهم وجاهد معهم أمة واحدة متميزة عن غيرها من الناس ومفهوم الامة الواحدة يقضي بالضرورة تضامن جميع افرادها في السراء والضراء ، والاستعداد للجهاد وهو الشرط الاساسي لقبول انتماء الفرد اليها . وجاءت النصوص الاخرى توضح الحدود والالتزامات الحربية لجميع الفئات والافراد المكونين للامة — على اعتبار ان الامة وحدة متضامنة في احوال السلم والحرب معاً ((وان سلم المؤمنين واحدة ، لايسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم ، وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً . وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله)) (٤٧) .

---

(٤٤) ابن هشام : ج٢ ، ص ٦٣ .

(٤٥) ابن سلام : ابو عبيد القاسم : الاموال : تحقيق : محمد حامد الفقي . المكتبة التجارية القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٢٠٧

(٤٦) ابن هشام : ج٢ ، ص ١١٩ .

(٤٧) ابن هشام : ج٢ ، ص ١٢١ .

الملاحظ على هذه الفقرة انها تؤكد على وحدة الامة في حالات الحرب ومن ثم فأنه ليس من الجائز ان يتجه المهاجرون للقتال ويقف الانصار موقف المتفرج . كما وردت اشارة الى ((الغزو ـ الغزوات)) مما يوجي بان الصحيفة قد كتبت بعد بدء الرسول (ص) في ارسال السرايا والغزوات أو أنه كان يخطط للقيام بها على اقل تقدير .

٣ ـ استعراض جميع الآراء التي اوردها الباحثون المعاصرون والمؤرخون القدماء وعلى وجه الخصوص ((ابن هشام)) ، ((الواقدي)) ، ((ابن سعد)). لقد رأى بعض الباحثين والكتاب المعاصرين ان الغزوات والسرايا التي ارسلها الرسول (ص) قبل معركة بدر قد تألفت من المهاجرين، وانه لم يكن للانصار أي دور فيها (٤٨) .

ويبدو أن آراء الباحثين المعاصرين في عدم مساهمة الانصار في الغزوات والسرايا قبل معركة بدر قد تأثرت الى حد بعيد بالروايات التي وردت عند ابن هشام والواقدي وابن سعد ، والتي تكاد تحمل القارىء لها على الاعتقاد بان المسألة منتهية وانها موضع اجماع المؤرخين وبالتالي فليس هناك من مجال لابداء القول فيها أو اعادته غير ان القراءة الدقيقة لهذه الروايات التاريخية الواردة في هذا الخصوص تشعر الباحث بوجود بعض النواحي الغامضة او حتى المتناقضة في بعض من هذه الروايات كما ان هناك نصاً صريحاً اورده الواقدي عن اشراك الانصار في سرية حمزة بن عبد المطلب مما يحمل الباحث على التساؤل ومحاولة الرجوع الى دراسة موقف الانصار منذ بدايته لاعادة تقويم موقفهم من جديد بصورة سليمة خدمة للحقيقة التاريخية وانصافاً واكراماً لمن نصروا الاسلام ورسوله في احلك الظروف والاحوال . وعليه

(٤٨) انظر دوره : محمد عزت : تأريخ العرب في الاسلام ، د / ط المكتبة العصرية، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٨١ ، وانظر كذلك : الشريف : احمد ابراهيم ، الدولة العربية الاسلامية الاولى ، د/ ط دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ١٠٩ .
للمزيد من المعلومات : انظر

سنحاول هنا استعراض الروايات التاريخية التي اوردها «ابن هشام» والواقدي «وابن سعد» لتوخي الحقيقة التاريخية قدر الامكان (٤٩) .

١ — يقول ابن هشام : وبعث من مقامه ذلك حمزة بن عبدالمطلب بن هشام الى سيف بحر / من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الانصار احد (٥٠) .

٢ — يقول الواقدي : قالوا : أول لواء عقده رسول الله (ص) بعد ان قدم المدينة لحمزة بن عبد المطلب ؛ بعثه في ثلاثين راكباً شطرين ؛ خمسة عشر من الانصار ولم يكتف الواقدي بايراد العدد الاجمالي للذين ساهموا في هذه السرية من المهاجرين والانصار بل قدم لنا قائمة باسماء عشرة من المهاجرين بضمنهم حمزة بن عبدالمطلب قائد السرية وعشرة من الانصار (٥١).

ان ماأورده الواقدي يكاد يحملنا على القناعة بصحة روايته حول اشتراك الانصار في هذه السرية غير ان ثمة مايدعونا الى التروي والبحث عن أدلة أخرى قبل الجزم في هذه المسألة ؛ حيث ان الواقدي نفسه قد عاد بعد ان انتهى من سرد خبر هذه السرية الى ايراد رواية اخرى عن ابن المسيب قائلاً : (لم يبعث رسول الله (ص) احداً مبعثاً حتى غزا بنفسه الى بدر وذلك انهم لاينصرونه الا في الدار ، وهو المثبت) (٥٢) ويورد لنا ابن سعد نفس رواية الواقدي (٥٣) .

٣ — وعند اكمال المقطع الثاني من النص الذي اورده ابن هشام ((التقى ابا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من اهل مكة ؛ فحجز

---

(٤٩) الملاح : هاشم يحيى : اضواء على دور الانصار في مغازي وسرايا الرسول في غزوة بدر ص ٣٩ دراسات في التأريخ والآثار (مجلة جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق) العدد ٣/ ١٩٨٧ ،

(٥٠) ابن هشام — ج٢ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

(٥١) الواقدي : ج١ ، ص ٩ .

(٥٢) الواقدي : نفس المكان .

(٥٣) الواقدي : ج١ ، ص ١٠ .

بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال)) (٥٤) فامتناع الطرفين عن القتال جاء بسبب الوساطة التي قام بها مجدي بن عمرو الجهني الذي كان حليفـــــاً للطرفين (٥٥) ، وهذا يدلل على وجود بعض الاوس والخزرج في سرية حمزة بن عبدالمطلب الذين هم حلفاء له مما دفعه الى القيام بهذه الوساطة ــ ولقد ذكر وات :

فان عمل مجدي بن عمرو من بني جهينة خلال غزوه حمزة وقيامه بالوساطة بين المسلمين وبين قوة ضخمة من المكيين ، سببه وجود مدنيين متحالفين مع جهينة (٥٦) . وهذا يوافق تماماً ماذكره الواقدي في روايته الاولى من ان السرية كانت مكونة من شطرين ــ مهاجرين وانصار .

٤ ــ ويقول ابن سعد ان الرسول (ص) خرج في غزوة ((بواط على راس ثلاثة عشر شهراً من هجرته الى المدينة لاعتراض قافلة لقريش في قوة مؤلفة من مائتين من اصحابه)) (٥٧) . الا ان ابن سعد في هذه الرواية لم يحدد الفئات التي كانت تتكون منها هذه القوى التي خرجت مع الرسول (ص) الى بواط ولكن دراسة عدد المهاجرين في المدينة خلال تلك الفترة تقودنا الى استنتاج ان اغلبية هذه القوى كانت تتألف من الانصار (الاوس والخزرج) وذلك لان عدد المهاجرين الذين آخى الرسول (ص) بينهم وبين الانصار في السنة الاولى للهجرة كان يتراوح مابين ٤٥ــ٥٠ مهاجراً فقط. وهذا حسب

(٥٤) ابن سعد : ج٢ ، ص ٦ .

(٥٥) ابن هشام : ج٢ ص ٢٣٠ ، الواقدي : ج١ ، ص ٩ .

(٥٦) وات : مونتجمري : محمد في المدينة : ترجمة شعبان بركات ، د/ط المكتبة العصرية صيدا ، د/ت ، ص ٧ .

(٥٧) ابن سعد : ج٢ ص ٩٨ - ٩٩ .

روايات ابن هشام وابن سعد وابن حزم (٥٨) ، علماً بأن معظم المهاجرين الذين خرجوا الى بدر لم يتجاوزوا (٨٣) رجلاً (٥٩) .

٥ ـ وذكر الواقدي وابن سعد ، ان الرسول (ص) خرج بعد مضي ستة عشر شهراً على هجرته الى المدينة في غزوة الى ((ذي العشيرة)) على رأس قوة من خمسين ومائة ويقال من مائتين من اصحابه)) (٦٠) لمهاجمة قافلة مكية كبيرة كانت متجهة الى الشام .

في الوقت الذي اكدت رواية الواقدي من ان القوة التي خرجت مع الرسول (ص) مؤلفة من مائة وخمسين او مائتين من ((اصحابه)) ذهبت رواية ابن سعد الى ان هذه القوة كانت مؤلفة من ((المهاجرين)) فقط (٦١) .

ان الروايات التي سبق لنا تقديمها عن عدد المهاجرين في المدينة خلال هذه الفترة لاتساعدنا اطلاقاً على قبول رواية ابن سعد من ان جميع القوة كانت تتألف من المهاجرين، ومن ثم يجوز لنا ان نقرر انه لو صح ماذكره الواقدي وابن سعد من ان عدد أفراد القوة كان مائة وخمسين او مائتين ، فلا بد ان يكون اكثر من نصفهم من الانصار .

---

(٥٨) من المعلوم لدينا ان ابن هشام والواقدي قد ذكروا هذه الغزوة وذلك من دون ذكر اي رقم للرجال الذين خرجوا مع الرسول (ص) يومها انظر ابن هشام جـ٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ الواقدي : ط ١ ، ص ١٢ .
ابن حزم : ابو محمد ، : جوامع السيرة : تحقيق : احسان عباس وآخرون ، د/ ط دار المعارف ، القاهرة، د/ت ص ٩٦ - ٩٧ .

(٥٩) ابن هشام : جـ٢ ، ص ٣٣٣ - ٣٥٤ ؛ ابن سعد : جـ١ ، ص ٢٣٨ ؛ الواقدي نفس المكان ابن اسحاق : محمد : السيرة النبوية : تحقيق : محمد حميد الله د/ط . المكتبة الوطنية الرباط ، المغرب : ١٩٧٦ ، ص ٢٨٨ .

(٦٠) الواقدي : جـ١ ، ص ١٢ ١٣ ؛ ابن سعد : جـ٢ ، ص ٩ .

(٦١) انظر : ابن سعد : نفس المكان .

ويرى وات ((انه لو كان مع محمد(٢٠٠ رجل او ١٥٠)لكان الانصار من بينهم))(٦٢)ويقول ايضاً ((لما كان محمد لديه اقل من مئة مهاجر في معركة بدر حيث كانوا جميعاً حاضرين ، فهناك مجال لنقول بان الانصار اشتركوا على الاقل في اكبر الغزوات الاولى . نستنتج مما سبق عرضه آنفاً تعهدات الانصار العسكرية للرسول (ص) في العقبة الثانية وحقيقة التزاماتهم الحربية في دستور المدينة (الوثيقة) ومناقشة الروايات التاريخية التي رواها ((ابن هشام والواقدي وابن سعد)) فيتضح لنا بشكل جلي ان الانصار شاركوا المهاجرين في العديد من الغزوات والسرايا الاولى وقبل معركة بدر(٦٣) ، التي كانت تخرج لتحقيق ستراتيجية دولة المدينة في فرض الحصار الاقتصادي على تجارة قريش وخروج الانصار مع الرسول(ص)الى بدر يدفعنا هو الآخر الى ترجيح خروجهم معه في الغزوات والسرايا الاولى التي لم يقع فيها قتال غالباً مما جعل أمر خروج الانصار مع الرسول (ص) في هذه السرايا والغزوات وعدم خروجهم أمر غير جلي ،ولكن لما نقى المسلمون في واقعة بدر كيداً اضطروا الى القتال وجدنا الروايات التاريخية تكشف لنا النقاب عن وجود الانصار الى جانب الرسول (ص) في هذه الغزوة بوضوح وجلاء ، ولربما لو جرت هذه الغزوة كمثيلاتها دون قتال لما اشارت الروايات الى اشتراك الانصار في الخروج مع الرسول (ص) وهذا الذي دعانا الى القول بفرض خروج الانصار مع الرسول (ص) قبل بدر.

* * *

---

(٦٢) وات : ص ٦ .

(٦٣) الملاح : هاشم يحيى : اضواء على دور الانصار في مغازي وسرايا الرسول في غزوة بدر : دراسات في التأريخ والاثار (مجلة جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق) العدد ١٩٨٧/٣ ، ص ٤٣ ومابعدها .

الفترة التاريخية	الاوس	الخزرج
اللقاء الاول	(٢) بالتحديد	———
اللقاء الثاني	———	٦
العقبة الاولى	٢	١٠
العقبة الثانية	١٢	٦١
المجموع	١٦	٧٧
اختيار النقباء	٣	٩